بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

وظائف الشيعة والمحبين
في عاشوراء الإمام الحسين (ع)

فصل من كتاب الدمعة الساكبة
بقلم الخطيب الدكتور الشيخ محمد جمعة بادي

كان مقتل الإمام الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من شهر محرّم الحرام من سنة ٦١ هـ ، في الشهر الذي كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال ، فهتك بنو أميّة حرمة الشّهر وحرمة النبوّة وحرمة الإمامة ، وتعدّوا حدود الله تعالى بقتل سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام فصار شهر همّ وغمّ إلى يوم القيامة !!

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بأسناده إلى الإمام الرّضا عليه السلام أنّه قال: " إن المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال ، فاستحلّت فيه دماؤنا ، وهُتكت فيه حُرمتُنا ، وسُبيَ فيه ذرارينا ونساؤُنا ، وأُضرمت النّيران في مضاربنا ، وانتُهب ما فيها من ثقلنا ، ولم تُرع لرسول الله حرمة في أمرنا.. إن يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء ، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء ، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإنّ البكاء عليه يحطّ الذّنوب العظام "[1] .

---

(١) راجع أمالي الصدوق ص (١٢٨) ، وبحار الأنوار (٤٤/ ٢٨٣) ، ووسائل الشيعة (١٤/ ٥٠٥) ، وإقبال الأعمال ص (٥٤٤) ، وروضة الواعظين

ومنذ ذلك الحين وطقوس الحزن وشعائر العزاء الحسينيّة في نماء وتطوّر ، تزيد حرارتها ولا تنقص أبداً ، وتجدّد ذكراه في كلّ مناسبة أو ذكرى ، وتشتد حرارة الأحزان مع تجدّد شهر المحرّم ويوم عاشوراء من كلّ عام جديد !!

كذب الوت فالحسين مخلّد كلّما أخلق الزّمان تجدّد

ويجدّد الشّيعة هذا الشّعار بكلّ عشق ومودّة ، دون سأم أو كلل أو ملل ، فمعرفة الحسين عليه السلام مكتومة في بواطنهم ، ولم يحفظ حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آله عليهم السلام غيرهم ، فزادهم الله تعالى شرفاً وعزّاً ، وربّما مرّ بعض المسلمين على يوم عاشوراء مرور الكرام ، من غير أن يهتزّ لهم جفن لأحزان العترة النبويّة ، في اليوم الذي بكت فيه السماء والأرض !!

ومن دواعي الأسف الشديد أن يُشاكل بعض المسلمين في أفعالهم أفعال النواصب عن علم أو جهل ، فبعضهم يؤخّرون أفراحهم وأعراسهم حتّى حلول يوم العاشر للتبرّك به ، والبعض يعلنون صيامه ويدعون للإفطار الجماعي ـ كما تقدّم ـ إحياءً لسنن بني أمية في هذا اليوم ..

فقد صام أعداء الحسين عليه السلام يوم عاشوراء شكراً لله تعالى ، وأهون المسلمين حالاً الذين لا يعبأون بحلول يوم العاشر أو ذهابه أصلاً ، فحياتهم ومعائشهم على وضعها المعتاد ، وإذاعات الدّول الإسلامية وقنواتهم تبثّ الغناء وبرامج التّرفيه كما هو حالها في سائر الأيّام ، والأحرى أن تبثّ فيه القرآن الكريم ـ على الأقل ـ تفاعلاً مع أحزان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا اليوم الحزين.

والحق أن كثيراً من أخواننا أهل السنّة والجماعة يحزنون في هذا اليوم ويرتادون مجالس سيّد الشّهداء عليه السلام مواساةً لنبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم ويشاركون الشّيعة شعائرهم ، وهو أمر أدركوا حُسنه

(١/ ١٦٩) ، ومناقب ابن شهراشوب (٤/ ٨٦).

بوجدانهم وفطرتهم ، ولا زلنا نراهم في مجالس بلدنا وسائر دول الخليج العربي التي تفتح أبوابها للجميع.

والمفترض أنّ الحزن على الإمام الحسين عليه السلام هو سمة جميع أهل الإسلام في يوم مقتله ، فهو شهيد الإسلام والتوحيد والقرآن والنبوّة ، والحزن هو أقلّ ما يمكن فعله في هذا اليوم مواساة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام قربة لله تعالى ، ناهيك عن الوظائف والسّنن الواردة عن العترة الطّاهرة في خصوص يوم عاشوراء.

الأحكام الخاصة بيوم عاشوراء

يوم عاشوراء بالنسبة إلى الشّيعة يومٌ استثنائي جدّاً ، يخرجون فيه عن سيرتهم المعتادة ، ويتبدّل حالهم إلى حال آخر ، وتظهر عليهم سمات الحزن سريعاً ، وتتوزّع أدوارهم بشكل منظّم ومنسجم ، فهم أشبه بخليّة النّحل في أوج نشاطها ، فيتبادلون مظاهر العزاء تلقائيّاً ، وينشغلون في إعداد المآتم والمواكب ، ويتفرّغ بعضهم لإعداد الطّعام لعامّة طلاّب البركة.

فهم في حركة دؤوبة ومستمرّة ، وتستهويهم زيارة الحسين عليه السلام في كربلاء المقدّسة أو العكوف في المأتم الحسيني. شابَ الكبيرُ على هذه السّيرة وشبّ عليها الصغير ، وهم على استعداد لسكب الدّموع متى تحين فرصة ذكر المقتل ، الذي يُعدّ استماعه جوهر وظائف يوم عاشوراء عند الشّيعة ، فينتشرون في المآتم والحسينيّات والمساجد لتجديد الذكرى وإجراء الدّموع ، وتمتلأ المآتم وبعض البيوت ـ التي تصبح مآتماً ـ بالمعزّين ، فيوم عاشوراء هو ربيع المآتم الحسينيّة.

ولستُ أهدف في هذا العنوان إلى تصنيف وظائف الشّيعة بحسب وقوعها في الخارج بقدر تشريعها وصدورها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بحسب سيرتهم وأقوالهم ، بعد أن كانت أفعالهم المشجية تفيض على البيان ، وقد ذكر التاريخ أحوالهم فيه مفصّلاً ،

والمقصود هنا بيان ما صدر عنهم عليهم السلام من الأوامر في يوم عاشوراء ، وما عيّنوا لشيعتهم من الوظائف الشّخصيّة لكّل فرد منهم في هذا اليوم إجمالاً ، بغضّ النّظر عن الشعائر والمظاهر التي أضيفت إليها بحسب النّصوص العامّة في المقام ، والتي عرضناها ببسط في كتابنا (المصيبة الرّاتبة).

١. تلاوة المقتل الحسيني:

إنّ تلاوة المقتل الحسيني وسيرة الإمام الحسين عليه السلام وأحداث يوم عاشوراء في هذا اليوم من أهمّ الوظائف التي لقّنها الأئمة عليهم السلام لشيعتهم ، وكذلك الإستماع إلى المقتل مع الحزن والبكاء والتفجّع والنّدبة والجزع ، وقد وردت هذه المضامين في أكثر من خبر.

منها ما رواه الشّيخ في المصباح بسنده إلى صالح بن عقبة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: من زار الحسين بن علي عليه السلام في يوم عاشوراء من المحرم.

إلى أن قال :

ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه ، ويأمر من في داره ممّن لا يتّقيه بالبكاء عليه ، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه [1].

٢. تبادل التعازي:

ومن الوظائف الواردة في الأخبار تعزية الشّيعة بعضهم بعضاً عند اللقاء يوم عاشوراء ، بقولهم: أعظم الله أجورنا بمصاب الحسين ، أو بمصابنا بالحسين عليه السلام ، وجعلنا وإيّاكم من الطّالبين بثاره مع وليّه الإمام المهديّ من آل محمّد عليه السلام.

وقد ورد في ما رواه الشّيخ في المصباح بسنده إلى صالح بن

---

(١) راجع مصباح المتهجد ص (٧٧٢) ، وكامل الزيارات ص (١٧٥) ، وبحار الأنوار (٩٨/ ٢٩٠) ، ووسائل الشيعة (١٤/ ٥٠) ، ومستدرك الوسائل (١٠/ ٣١٥) ، والبلد الأمين ص (٢٦٩).

عقبة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: وليعزّ بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين عليه السلام. قلت: فكيف يعزي بعضنا بعضاً ؟ قال: تقولون أعظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين ، وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثأره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام [1].

٣. الحزن والبكاء:

ورد في أكثر من خبر عنهم عليهم السلام ما يؤكّد أنّ الحزن والبكاء من أهم وظائف الشّيعة في هذا اليوم ، وقد روي في عيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده إلى علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرت بنا في الجنان عينه [1].

٤. التشبّه بأصحاب المصائب:

ومن الوظائف الواردة في هذا اليوم هو الكون على هيئة أصحاب المصائب ، الذين شغلتهم المصيبة عن تحسين هندامهم ومظهرهم ، وعادة ما يكون صاحب المصيبة كاشف الذّراعين ، ومحلّل الأزرار.

فقد روى الشيخ رحمه الله في المصباح بسنده إلى عبد الله بن سنان قال: دخلت على سيدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في يوم عاشوراء فألقيته كاسف اللون ظاهر الحزن ، ودموعه تنحدر من

---

(١) راجع مصباح المتهجد ص (٧٧٢) ، وكامل الزيارات ص (١٧٥) ، وبحار الأنوار (٩٨/ ٢٩٠) ، ووسائل الشيعة (١٤/ ٥٠) ، ومستدرك الوسائل (١٠/ ٣١٥) ، والبلد الأمين ص (٢٦٩).

(١) راجع عيون أخبار الرضا (١/ ٢٩٩) ، وعلل الشرائع (١/ ٢٢٧) ، وروضة الواعظين (١/ ١٦٩) ، وأمالي الصدوق ص (١٢٩) ، وإقبال الأعمال ص (٥٧٨) ، وبحار الأنوار (٤٤/ ٢٨٤) و (٩٥/ ٣٤٤) و (٩٨/ ١٠٢) ، ووسائل الشيعة (١٤/ ٥٠).

عينيه كاللؤلؤ المتساقط.

وقال فيما قال : يا عبد الله بن سنان ، إنّ أفضل ما تأتي به في هذا اليوم أن تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها وتتسلّب ، قال: وما التسلب ؟ قال: تحلل أزرارك ، وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المصائب[1] .

كما يمكن أن نسوق الأخبار الواردة في باب آداب التعزية في سياق التعزية بمصاب الحسين عليه السلام ، وفيها أنّه ينبغي لصاحب العزاء أن يلقي رداءه ويكتفي بالقميص حتّى يُعرف فيُعزّى .. كما في علل الشّرايع بسنده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ينبغي لصاحب المصيبة أن لا يلبس الرداء ، وأن يكون في قميص حتى يُعرف ، وينبغي لجيرانه أن يطعموا عنه ثلاثة أيام[2].

وهي سيرة مطّردة في أهل البيت عليهم السلام ، فقد فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في جنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه حيث ألقى رداءه وتبعه محتفياً..

وفعل الإمام الصّادق عليه السلام ذات الفعل عند موت ولده إسماعيل رضي الله عنه ، وأيّ مصيبة أعظم وأكبر من مصيبة إمامنا الحسين عليه السلام ، وأيّ رزء في الإسلام أعظم من رزئه ، وأيّ شخصيّة أعزّ على القلوب من شخصيّته !! فهي الأجدر بالحزن والجزع بكلّ المعايير والمقاييس ، وينبغي إظهار غاية الجزع في هذا اليوم الذي رُؤي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُبدي قمّة الحزن الجزع.

٥. ترك السعي في الحوائج:

ومن الوظائف التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام في هذا اليوم ترك المعاملات الدّنيويّة كالبيع والشّراء وأشباه ذلك ، وعدم

---

(١) راجع مصباح المتهجد ص (٧٨٢) ، وبحار الأنوار (٩٨/ ٣٠٣) ، ووسائل الشيعة (٨/ ٩) ، ومستدرك الوسائل (٦/ ٢٨٠).

(٢) راجع علل الشرائع (١/ ٣٠٧) ، وبحار الأنوار (٧٩/ ٧١).

الخروج والسعي في الحوائج ، وعدم إدّخار حاجات البيت فيه ، فإنّه يوم نحس.

فقد روى الشّيخ في المصباح الخبر الصّحيح بسنده إلى صالح بن عقبة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: وإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل ، فإنّه يوم نحس لا تُقضى فيه حاجة مؤمن ، فإن قُضيت لم يبارك ولم ير فيها رشداً ، ولا يدّخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً ، فمن ادّخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادّخره ولم يبارك له في أهله[1].

وروي في أمالي الصدوق بسنده إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال: من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ..

ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره ، وقرّت بنا في الجنان عينه ..

ومن سمّى يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر ، وحُشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد (لعنه الله) إلى أسفل درك من النار[1].

٦. زيارة الحسين عليه السلام عن قرب أو بعد:

ويُستحبّ في يوم عاشوراء زيارة سيّد الشّهداء عليه السلام

---

(١) راجع مصباح المتهجد ص (٧٧٢) ، وكامل الزيارات ص (١٧٥) ، وبحار الأنوار (٩٨/ ٢٩٠) ، ووسائل الشيعة (١٤/ ٥٠) ، ومستدرك الوسائل (١٠/ ٣١٥) ، والبلد الأمين ص (٢٦٩).

(١) راجع أمالي الصّدوق ص (١٢٩) ، وبحار الأنوار (٤٤/ ٢٨٤) و (٩٥/ ٣٤٤) و (٩٨/ ١٠٢) ، وإقبال الأعمال ص (٥٧٨) ، وروضة الواعظين (١/ ١٧٠) ، وعلل الشرائع (١/ ٢٢٧) ، وعيون أخبار الرضا (١/ ٢٩٩) ، والمناقب (٤/ ٨٦).

استحباباً مؤكّداً ، سواء كان عن قربٍ أو بُعدٍ ، وخصوصاً السّلام عليه بالزّيارة المأثورة المخصوصة في يوم عاشوراء ، فقد ورد ذلك في نصوص كثيرة صحيحة.

منها ما روي في كامل الزيارات بسنده إلى حريز عن أبي عبد الله عليه السلام: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وجبت له الجنة[2].

وفيه عنهم عليهم السلام: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان كمن تشحّط بدمه بين يديه[1].

وفيه بسنده إلى زيد الشحام عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: من زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان غفر الله له ما تقدم من ذنوبه وما تأخّر ، ومن زاره يوم عرفة كتب الله له ثواب ألف حجّة متقبّلة وألف عمرة مبرورة ، ومن زاره يوم عاشوراء فكأنما زار الله فوق عرشه[2].

وفيه مسنداً إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المحرم حتى يظل عنده باكياً لقي الله تعالى يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة ، وألفي ألف ألف عمرة ، وألفي ألف غزوة ، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأئمة الراشدين (صلوات الله عليهم أجمعين).

قال الرّاوي: جُعلت فداك ، فما لمن كان في بعد البلاد

---

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٧٤) ، كتاب المزار ص (٥٢) ، مصباح المتهجد ص (٧٧٢).

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٧٤) ، بحار الأنوار (٩٨/ ١٠٥) ، ومستدرك الوسائل (١٠/ ٢٩٢).

(٢) وفي بعض النسخ: (في عرشه) ، راجع كامل الزيارات ص (١٧٤) و (١٨٢) ، ووسائل الشيعة (١٤/ ٤٦٩) ، ومستدرك الوسائل (١٠/ ٢٩٢) ، وبحار الأنوار (٩٨/ ٩٣ و ١٠٥) ، والفقرة الأخيرة من الحديث تجدها في مسار الشيعة للشيخ المفيد ص (٤٤).

وأقاصيها ولم يمكنه المسير إليه في ذلك اليوم ؟

قال: إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصحراء أو صعَد سطحاً مرتفعاً في داره وأومأ إليه بالسّلام واجتهد على قاتله بالدعاء ، وصلى بعده ركعتين ، يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال ، ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه ، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه ، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً في البيوت ، وليعزّ بعضهم بعضا بمصاب الحسين عليه السلام فأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله عز وجل جميع هذا الثواب[1].

٧. سقي الماء:

ومن وظائف الشيعة الجليلة يوم عاشوراء سقي الماء للعطاشى باسم الإمام الحسين عليه السلام فهو مستحبٌّ في نفسه ، وقد دلّت رواية على استحبابه عند قبره الشّريف ومشهده المنيف ، خصوصاً إذا ما ضممنا مناسبة شهادته عطشاً وكان الشّارب زوّاره والمعزّين والباكين عليه ، فإنّه من أعظم القربات إلى الله تعالى.

فقد روي في كامل الزيارات عن محمد بن أبي يسار ـ أو سيّار ـ المدائني بإسناده قال: من سقى يوم عاشوراء عند قبر الحسين عليه السلام كان كمن سقى عسكر الحسين عليه السلام وشهد معه[1].

٨. إطعام المعزّين:

ومن وظائف الشيعة الجليلة يوم عاشوراء إطعام المعزّين المنشغلين بالعزاء والمأتم باسم الإمام الحسين عليه السلام ، وتهيأة ما يقوّيهم في أداء وظائفهم في هذا اليوم ، وإتاحة فرصة التبرّك بسُفرة سيّد الشّهداء عليه السلام أمام الجميع ، سواء الأغنياء أو الفقراء.

---

(١) راجع مصباح المتهجد ص (٧٧٢) ، وكامل الزيارات ص (١٧٥) ، وبحار الأنوار (٩٨/ ٢٩٠) ، ووسائل الشيعة (١٤ / ٥٠) ، ومستدرك الوسائل (١٠ / ٣١٥) ، والبلد الأمين ص (٢٦٩).

(١) كامل الزيارات ص (١٧٤) ، بحار الأنوار (٩٨/ ١٠٥).

أمّا في عموم الإطعام فقد روي في أمالي الطوسي بإسناد إلى هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما مات جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام أن تتّخذ طعاماً لأسماء بنت عميس وتأتيها ونساؤها ثلاثة أيام ، فجرت بذلك السنة ، أن يصنع الطعام لأهل الميت ثلاثة أيام[1].

وأمّا في خصوص الإطعام في عزاء ومأتم الإمام الحسين عليه السلام فقدر روي في المحاسن بإسناد إلى عمر بن علي بن الحسين ، قال: لمّا قتل الحسين بن علي (صلوات الله عليه) لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح ، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد ، وكان علي بن الحسين يعمل لهن الطعام للمأتم[2].

٩. لعن قاتله:

ومن أعظم الوظائف والقربات إلى الله تعالى في يوم عاشوراء الإبتهال إلى الله بلعن قاتله والمعين على قتله ومن رضي بفعلهم إلى يوم القيامة ، والبراءة منهم ومن جريمتهم الكبرى ، ونصوص الزّيارة المأثورة في خصوص يوم عاشوراء تكاد تطفح بذلك ، ويعلم من ذلك أهميّة اللعن في هذا اليوم.

وقد روي في عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناد إلى الريّان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم فقال ـ والخبر مختصر ـ : يا ابن شبيب ، لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام أنه لما قتل جدي الحسين صلى الله عليه وآله أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر ، يا ابن شبيب ، إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً ، قليلاً كان

---

(١) راجع أمالي الطوسي ص (٦٥٩) ، والكافي (٣/ ٢١٧) ، وبحار الأنوار (٢١/ ٥٤) و (٧٩/ ٨٢ و ٨٣) ، ووسائل الشيعة (٣/ ٢٣٦) ، ووسائل الشيعة (٢٤/ ٣٦٤) ، والمحاسن (٢/ ٤١٩).

(٢) راجع المحاسن (٢/ ٤٢٠) ، وبحار الأنوار (٤٥/ ١٨٨) و (٧٩/ ٨٤) ، ووسائل الشيعة (٣/ ٢٣).

أو كثيراً ، يا ابن شبيب ، إن سرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام ، يا ابن شبيب ، إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالعن قتلة الحسين[1].

وفي أمالي الصدوق بإسناد إلى داود بن كثير الرقي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذا استسقى الماء ، فلمّا شربه رأيته وقد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ، ثم قال: يا داود ، لعن الله قاتل الحسين ، فما أنغص ذكر الحسين للعيش ، إني ما شربت ماء بارداً إلاّ وذكرت الحسين ، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلاّ كتب الله له مئة ألف حسنة ، ومحا عنه مئة ألف سيّئة ، ورفع له مئة ألف درجة ، وكان كأنّما أعتق مئة ألف نسمة ، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه[1].

١٠. الإمساك عن الطعام والشراب:

من المستحبّات الأكيدة الإمساك عن الطّعام والشّراب في يوم عاشوراء ، ثمّ الإجتزاء بطعام أصحاب المصائب والعزاء دون اللذيذ من الأطعمة ، ويختلف هذا الإمساك عن الصّوم المروي عند أهل السنّة كلّ الإختلاف ، لأنّ الإمساك عندنا ـ وإن عُبّر عنه بالصّوم ـ فهو تشبّهٌ بأهل العزاء والمصائب ..

وأما الصّوم المروي عند أهل السنّة فأصله أمويٌّ محض ، ومنشأه التبرّك بيوم مقتل الإمام عليه السلام ، والشكر لله تعالى على ظفر الأمويّين به ، ونصوصهم متهافتة متناقضة فيه ، وقد ناقشنا أحاديثه

---

(١) راجع عيون أخبار الرضا (١/ ٢٩٩) ، وبحار الأنوار (٤٤/ ٢٨٥ و ٢٩٩) و (٩٨/ ١٠٢) ، ووسائل الشيعة (١٤/ ٤١٧ و ٥٠٢) ، وإقبال الأعمال ص (٥٤٤).

(١) راجع أمالي الصدوق ص (١٤٢) ، والكافي (٦/ ٣٩١) ، ووسائل الشيعة (٢٥/ ٢٧٢) ، وبحار الأنوار (٤٤/ ٣٠٣) و (٦٣/ ٤٦٤) ، وروضة الواعظين (١/ ١٧٠) ، كامل الزيارات ص (١٠٦) ، والمناقب (٤/ ٨٧). وفي لفظ كامل الزيارات: " وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد ".

في الفصل الأوّل من هذا الكتيّب ، وفي الفصل الثالث من كتابنا " الدّمعة السّاكبة " فراجع.

واشتهر بين أصحابنا بلا خلاف صوم يوم عاشوراء على وجه الحزن ، كما في جواهر الكلام ورياض المسائل ، وفي الغنية دعوى الإجماع عليه ، وبه صرّح المحقّق في المعتبر والشرائع ، وكذلك العلاّمة في المنتهى والإرشاد تبعاً لشيخ الطّائفة في التّهذيب ، جمعاً بين النصوص الآمرة لصومه والنّصوص النّاهية عنه، وقد تقدّم الكلام في ذلك .

وقد ناقش بعض المتأخّرين في هذا الجمع ، إذ لا شاهد ولا قرينة ترشد إليه ، والنصوص الآمرة والنّاهية تأبى الحمل على ذلك أصلاً ، فلا يمكن المصير إلى قول المشهور من استحباب صيامه حزناً ، بل لابدّ من القول باستحباب صومه أو القول بالنهي عنه ولو على الكراهة !!

وكيف كان ، فإنّ صومه تبرّكاً يستلزم الخروج من الدّين ، وأمّا صيامه لخصوصيّة اليوم فإنّ أخباره موهونة بموافقتها النّواصب والأمويّين وإن كان فيها المعتبر من جهة السّند ، فلا بدّ من حملها على التقيّة ، ويكفيها وهناً خلوّ الكافي منها وإعراض الشّيخ الكليني ﵀ عنها مع أهمّية الموضوع ، واكتفائه ﵀ بنقل أخبار النهي عن صومه شاهد على ذلك ، وكذلك الشّيخ الصدوق ﵀ فإنّه أعرض عن ذكرها في الفقيه ، وهو يكشف عن إعراض قدماء أصحابنا عنها وهذا كاف في سقوطها عن الإعتبار.

وأمّا صومه لا على وجه الخصوصيّة بما أنّه يوم من أيّام السّنة فمشهور أنّه لا مانع منه ، لعموم ما دلّ على استحباب الصّوم في نفسه بلا معارض.

وقد ذهب العلاّمة المحدّث الشّيخ يوسف البحراني ﵀ إلى حرمة الصوم في يوم عاشوراء مطلقاً ، كصوم يومي العيدين ، موافقة للنّصوص النّاهية ، وقد ذهب إلى أن ضعف سندها منجبر

بعمل الأصحاب ، واحتجّ باقتصار الكليني ﵀ والصّدوق ﵀ على هذه الأخبار دون الأخبار الآمرة به ، ثم استظهر عمل الأصحاب برواية المصباح النّاهية عن صومه.

ثمّ أتمّ البحراني ﵀ استدلاله قائلاً: قال في جامع المقاصد: صومه ليس صوماً معتبراً شرعاً ، بل هو إمساك بدون نيّة الصّوم ، لأنّ صومه متروك كما وردت الرواية ، فيستحب الإمساك فيه إلى بعد العصر حزناً ، وصومه شعار بني أميّة سروراً بقتل الحسين عليه السلام .وذهب صاحب المسالك إلى أنّ صومه ليس صوماً معتبراً شرعاً ، بل هو إمساك بدون نيّة الصوم ، لأنّ صومه متروك كما وردت به الرواية ، ومعنى قول الصّادق " صمه من غير تبييت ، وافطره من غير تشميت ، وليكن فطرك بعد العصر" هو ترك المفطرات انشغالاً بالحزن والمصيبة.

وروي في الإستبصار بالإسناد إلى نجية بن الحارث العطار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء ؟ فقال: صوم متروك بنزول شهر رمضان والمتروك بدعة.

قال نجيّة: فسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك من بعد أبيه ؟ فأجابني بمثل جواب أبيه ، ثم قال: أما إنه صيام يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد بقتل الحسين عليه السلام .

وجاء في وسائل الشيعة ، حيث سأل عبيد بن زرارة أبا عبد الله عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء ؟ فقال: من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد ، قال: قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم ؟ قال: النار ، أعاذنا الله من النار ومن عمل يقرب من النار.

وقد ذهب الآية العظمى السيّد الخوئي ﵀ إلى كراهة صيام يوم عاشوراء ، وصرّح بذلك في كتاب الصّوم ، ونصّ كلامه: (المكروه منه: بمعنى قلة الثواب ففي مواضع أيضا منها صوم عاشوراء).

وقد صدر الأمر من الإمام جعفر الصّادق عليه السلام لأصحابه في يوم عاشوراء بالإمساك عن الطعام والشّراب إلى وقت العصر ـ دون تبييت نية الصيام كما تقدّم مواساة لعطش العترة عليهم السلام في يوم أحزانهم وآلامهم ، ففي مصباح المتهجّد بسند إلى عبد الله بن سنان قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام يوم عاشوراء ودموعه تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط ، فقلت: مم بكاؤك ؟ فقال: أ في غفلة أنت ؟ أما علمت أن الحسين عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم! فقلت: ما قولك في صومه ؟ فقال لي: صمه من غير تبييت ، وأفطره من غير تشميت ، ولا تجعله يوم صوم كاملا ، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء ، فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

إنّ هذه جملة من الواجبات والوظائف الشخصيّة التي سنحت في الخاطر بموارد صدورها عن الأئمة الأطهار عليهم السلام ، وهي التي لا تسقط عن شيعتهم ومحبّيهم في كلّ الأحوال ، وهي النّويّات المختصرة التي غرسها أئمتنا عليهم السلام لإرساء شجرة الشّعائر الحسينيّة الكبرى ، التي تأخذ طابع الوظيفة الجماعيّة العامّة ، وتعتمد على وظائف الأفراد مجتمعين ، وتعدّ في بعض الظروف من الواجبات الكفائيّة التي لا تسقط مهما كلّف الأمر.

وقد أرسى أئمة أهل البيت عليهم السلام شجرة الشّعائر الحسينيّة بالنّصوص الكافية والحجج الشّافية ، ونسج الشّيعة الأبرار على منوال أئمتهم عليهم السلام بفقه نوراني ، وفهموا الدّرس الذي جاهد الأئمة عليهم السلام من أجل إيصاله وكابدوا الشدّة والعناء في سبيل ترسيخه ، وأدركوا العمومات الواردة في النصوص فَهمَ الفقيه العارف ،

---

(١) راجع بحار الأنوار (٤٥/ ٦٣ و ٩٨/ ٣٠٣ و ٣٠٩) ، ووسائل الشيعة (١٠/ ٤٥٨) ، المستدرك (٧/ ٤٢٤ و ٥٢٥) ، والإقبال ص (٥٦٨) ، ومصباح المتهجّد ص (٧٨٢).

وأجادوا نشر الدّرس بكلّ إتقان ومسؤوليّة.

نعم ، لقد فقه الشّيعة عموم دلالة " من بكى أو أبكى " وعموم دلالة " الجزع " فتوغّلوا في مظاهر العزاء والحزن والبكاء والجزع ، فأحسنوا نشر ظلامة أهل البيت عليهم السلام وإحياء أمرهم بجميع سبل الدّعاية المتاحة التي تليق بقضيّتهم ، وكان الله تعالى وراء ذلك.

وصلى الله وسلّم وبارك على سيّد الخلق النبي المصطفى محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين المعصومين .